تحليل الخطاب الديني في ضوء نظرية الخبر والإنشاء –مقاربة تداولية لنماذج من آي الذكر الحكيم.

Analysis of religious discourse in the light of the theory of news and creation - a deliberative approach to models of any wise male.

حمياني فاطمة الزهراء[1]*

بوغاري فاطمة[2]

[1] جامعة ابن خلدون–تيارت(الجزائر)، fatimazahra.hamiani@univ–tiaret.dz

[2]جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي–تيسمسيلت (الجزائر)، bougharifatima07@gmail.com

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/04/28 تاريخ القبول: 2021/05/04 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو أعظم مدونة لغوية عرفتها البشرية جمعاء تميز بأسلوبه المعجز سواء على مستوى المفردة القرآنية أو على مستوى النظم والتركيب الأمر الذي دفع العلماء بالانكباب عليه بالشرح والتفسير بغية فهم معانيه واستنباط الأحكام الشرعية منه وبالتالي أضحى المنبع الأول للدراسات العربية بشقيها الثلاث اللغوية والأدبية والبلاغية، ومن هنا يتضح التداخل الكامن بين الدراسات القرانية والعلوم اللغوية ،وما يهمنا في هذه الورقة البحثة هو علم البلاغة وتداخله مع التداولية،وذلك بالحديث عن كيفية استثمار محاور التداولية في تفسير الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية،التداولية،الأمر،النهي،الأفعال الكلامية.

* **حمياني فاطمة الزهراء.**

Abstract:

There is nodoubt that the Qur'an is the greatest linguistic code known to all mankind, characterized by its miraculous style, whether at the level of the Qur'anic vocabulary or at the level of systems and composition, which led scholars to engage in it by explaining and interpreting in order to understand its meanings and devise islamic provisions from it and therefore It became the first source of Arabic studies in its three linguistic, literary and rhetorical parts, hence the overlap between Qur'anic studies and linguistic sciences, and what we are interested in in this research paper is the science of eloquence and its overlap with deliberative, by talking about how to invest Deliberative axes in the interpretation of the Qur'anic discourse

Keywords: Arabic rhetoric, deliberative, command, prohibition, verbal acts.

1. مقدمة:

مما لا شك فيه أن القران الكريم هو أعظم مدونة لغوية عرفتها البشرية جمعاء تميز بأسلوبه المعجز سواء على مستوى المفردة القرآنية أوعلى مستوى النظم والتركيب الأمر الذي دفع العلماء بالانكباب عليه بالشرح والتفسير بغية فهم معانيه واستنباط الأحكام الشرعية منه وبالتالي أضحى المنبع الأول للدراسات العربية بشقيها الثلاث اللغوية والأدبية والبلاغية.

ولما كانت الدراسات العربية القديمة موسوعية ارتأينا الوقوف عند جانب من جوانبها ألا وهو الدرس البلاغي متخذين في ذلك أعظم مدونة لغوية كنموذج للدراسة ألا وهي آي من سور الذكر الحكيم للإجابة عن إشكالية هل يستجيب الخطاب القرآني للتحليل التداولي؟ وتعد هذه الدراسة مقاربة أولية تطبيقية في المجال البلاغي والتداولي لما يعرف بظاهرة الخبر والإنشاء والأفعال الكلامية متخذين من المنهج الوصفي التحليلي أداةً للدراسة.

ومن هنا يتضح التداخل الكامن بين الدراسات القرانية و العلوم اللغوية ،وما يهمنا في هذه الورقة البحثة هو علم البلاغة الذي لطالما شكل أرضية اشتغال خصبة لدى الأصوليين، فقد أخذ منه علماء الأصول الأدوات والإجراءات كنظرية الخبر والانشاء ، المجاز .... بغية فهم النص القرآني واستنباط الأحكام الشرعية منه، إذ يعد مبحث الأمر والنهي من أهم المباحث في حقل أصول الفقه.

2. تداخل علم الأصول مع البلاغة:

القرآن الكريم نص لغوي يحمل دلالتين، دلالة ظاهر اللفظ ودلالة خفية وراء اللفظ لهذا قسم علماء الأصول الدلالة إلى دلالة المفهوم ودلالة المنطوق وهذا الأخير لا يدرك إلا بالتركيب والسياق المعروف بأسباب النزول. فالحقل الذي برزت فيه الدراسات اللغوية في الإطار القرآني هو حقل أصول الفقه فدرس علماء الأصول: « النصوص الدينية دراسة تداولية...– فدرسوا ضمن نظرية الخبر و الإنشاء – ظاهرة "الأفعال الكلامية "، واستنبطوا–عبر الجمع بين المتطلبات النظرية و النصوص التطبيقية–أفعال كلامية جديدة نت الأساليب الخبرية كالرواية و الشهادة، و الوعد و الوعيد، و الدعوى و الإقرار، و الندب والخلق...واتنبطوا أفعال كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية...كالندب و الإباحة و التخيير ، التعجب، و ألفاظ العقود و المعاهدات و الإيقاعات...» (صحراوي، دت، صفحة 180) ففي الشق الأول من هذا النص يعلل منحى الأصوليين الى مثل هذه الدراسة إذ يقول:« فمن المبررات الموضوعية التي أدت بالأصوليين إلى هذه الدراسة التداولية أن نشأت العلوم اللغوية العربية كانت في كنف القرآن الكريم وسعت سعياً دائبا إلى محاولة فهم النص القرآني، وكان هذا داعياً للأصوليين إلى انتحاء المنحى الوظيفي – التداولي الذي كان أكثر استجابة لطبيعة النص المدروس، إذ لا يمكن النظر إلى جمل هذا النص و تحليلها بمعزل عن سياقاتها المقالية و المقامية وأغراضها الإنجازية.» (مسعودصحراوي، دت، صفحة 197) فسور وآي الذكر الحكيم مرتبطة بمقامات معينة وأسباب نزول خاصة.

أما فيما يخص الشق الثاني من النص المتعلق بنظرية الخبر والإنشاء فقد استلهم الأصوليون هذه النظرية من حقل البلاغة ووظفوها في مجال دراستهم بغية فهم النصوص أولا واستنباط والأحكام الشرعية ثانياً وهذه الأخيرة بدورها هي المتضمنة للأفعال اللغوية (الفعل المتضمن في القول) التي أقرها الدرس التداولي الحديث.

وقد صرح نعمان عبد الحميد بوقرة بهذه العلاقة الكامنة بين البلاغة والتداولية بقوله: «ولعلنا لا نبالغ إذ قلنا إن التداولية الحديثة في صميم نظريتها بلاغة للخطاب من حيث كونها طرائق وآليات لفهم القول وأساليب صياغته في المقامات التخاطبية المختلفة.» (بوقرة، صفحة 39)

والجدير بالذكر أن دراسة ظاهرة الخبر و الإنشاء لم تكن حكراً على البلاغيين فقط و أنما كانت« حقلا مشتركاً بين تخصصات علمية متعددة، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة و البلاغيون والنحاة والأصوليين، ومن ثم صار متعينا على من يدرسها أن يتتبع فروعها و تطبيقاتها في مؤلفات عدد من العلماء الذين أسسّوا هذه النظرية في تراثنا، أو الذين عمقوا بالبحث فيها... وأما الأصوليين و الفقهاء فقد تميّز بحثهم للظاهرتين الأسلوبيتن معاً ...برؤية تداولية محكومة بآلية "البعد المقاصدي" إذ «اتخذوا البحث فيهما أداة لاستنباط الأحكام والقواعد الشرعية.» (صحراوي، 2005، صفحة 56)

وقد تمثلت نظرية الخبر والإنشاء عند الغرب بما يعرف بظاهرة الفعال اللغوية كأحد أبرز محاور الدرس التداولي الحديث فلا حرج إذا عرجنا عليها باختصار.

نظرية الخبر والإنشاء في الدراسات الغربية:

1.2عند جون أوستين Austin:

تعتبر نظرية "الأفعال الكلامية " المحور الأساسي الذي بُنِيَت عليه التداولية في العصر الحديث، رائدها الفيلسوفان الإنجليزيان جون أوستين وسيرل، طرح اوستين أفكاره على شكل "محاضرات أوليام جايمس" التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955م والتي جمعت في كتاب وُسَم ب:"كيف ننجز الأشياء بالكلمات" How to do things with word ونشرت بعد وفاته سنة 1962.

انطلق أوستينAustin من فكرة أساسية مفادها: «أن اللغة في التواصل ليس لها أساسا، /وظيفة وصفية بل لها وظيفة عمليّة. فإذ نستعمل اللغة فإنّنا لا نصف العالم بل نحقّق أعمالا هي الأعمال اللغويّة. فكان وجود ظواهر لغويّة خاصّة بالدلالة على العمل اللغويّ أحد برامج البحث الأولى التي اعتمدها اللسانيّون لتأسيس التداوليّة» (ريبول، 2010)فلا شك إذن أن التداولية هي ثورة على

الاتجاه البنيوي السويسري محققة قفزة نوعية في تحديد طريقة الاشتغال على اللغة من الوصف إلى الاستعمال وتحقيق الأفعال.

قسم جون أوستين الجمل الى قسمين: (موشلر، دت، صفحة 55)

–جمل وصفية: وهي الجمل التي تتضمن أفعالا إخباريةconstative وهي التي تصف الكون، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

–جمل إنشائية: وهي الجمل التي تتضمن أفعالا أدائية performativeوهي مخالفة للصنف الأول فهي لا تصف الكون ولا يحكم عليها بالصدق أو الكذب.

ولكن سرعان ما تغيرت وجهة نظر أوستين إلى هذا التقسيم فأضاف تقسيما آخر ميز فيه بين ثلاثة أضرب من الأعمال اللغوية وأقر بأن كل جمل يتلفظ بها إلا وتتضمن هذه الأصناف كحد أدنى:

1/–العمل القولي: وهو النشاط الصوتي والتركيبي والدلالي الذي يصدره شخص ما أي هو القول أو الصورة الصوتية للفظ.

2/–العمل المتضمن في القول: وهو العمل المنجز من خلال تلفظنا بشيء ما.

3/–عمل التأثير بالقول: وهو الأثر الناتج من القول كأن يقنع المخاَطِب السامع بفكرة ما أو يدفعه إلى تغيير وجهة نظر...إلخ.

كما قسم أوستين الأفعال القولية الى خمسة اقسام: (بلانشيه، 2007، صفحة 62)

–الحكميات: ويشمل هذا الصنف مختلف الأحكام كإصدار أمر ما كالإدانة مثلا...

–التنفيذيات: ويشمل أنشطة تنفيذ الأحكام.

–الوعديات: وهي الوعد بقيام نشاط ما.

–السلوكيات: ويشمل هذا الصنف كل سلوك/ نشاط كالشكر مثلا، الاعتذار...

–العَرْضيات: وتشمل الأنشطة التي تختصّ بالعرض كالنفي والتأكيد.

ومما سبق ذكره يمكننا القول إن أفكار أوستين Austinكانت المنبع الأول لقيام نظرية الأفعال اللغوية لاسيما تحديده لماهية الفعل الإنجازي الذي أصبح المحور الذي تقوم عليه هذه النظرية (نحلة، 2002، صفحة 46).

ثم بعد ذلك توالت جهود العلماء في إرساء معالم هذه النظرية فإذا كانت مرحلة أوستين هي مرحلة التأسيس فإن مرحلة سيرل توجت بمرحلة النضج و التقعيد المنهجي فما قدمه أوستين« لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنه كان كافيا ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية فيها، وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوماً محورياً في هذه النظرية، حتى جاء سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها، وكان ما قدمه عن الفعل الإنجازي... و القوة الإنجازية...كافيا لجعل الباحثين يتحدثون عن"نظرية سيرل في الأفعال الكلامية" بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستين. » (نحلة، 2002، صفحة 47)

2.2عند سيرلJ.RSearle :

طور سيرل نظرية الأفعال الكلامية التي اقترحها اوستين واهتم بالأعمال المتضمنة في القول بشكل كبير، ولعل ما يميز طرح سيرل هو «إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حدّ ذاته، وهو ما يسمّيه **واسم القوة المتضّمنة في القول**، وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه **واسم المحتوى القضوي**. » (موشلر، دت، صفحة 33)وبالتالي يكون التعبير عن المقصد وتحققه هو مجال دراسة سيرل وأشهر الأمثلة التي سيقت للتمثيل لذلك قول القائل: «أعدك بأن أحضر غداً» ف"أعدك" هو واسم القوّة المتضمنة في القول، و"أحضر غَدا" هو واسم المحتوى القضوي. ففي هذه الجملة كأن في نية المتكلم وعد للمخاطِب بالحضور، وقد حدد سيرل مقصدين لهذه الجملة وفق طرحه الجديد هما: (موشلر، دت، صفحة 34)

أ-الوعد بالحضور غداً.

ب-إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة «أعدك بالحضور غداً.»

واصل سيرلSearle مسيرة أستاذه وأضاف تعديلاً على مستوى تقسيم الأفعال الكلامية اعتدادا بذات المبدأ–أي القصد– وقسم الفعل الكلامي الى قسمين:

–فعل كلامي مباشر: ويتحقق عندما يتطابق قول المتكلم مع قصده.

–فعل كلامي غير مباشر: وهو الذي يكون فيه قول المتكلم مخالفاً لقصده ومن الأمثلة التوضيحية التي سيقت في هذا الصنف المثال التالي: «هل تستطيع أن تناولني الملح؟» ، رأى سيرل أن القائل في هذا المثال أنجز عملين لغويين الأول يتمثل في الإلتماس و الثاني يتمثل في الاستفهام والغاية من هذا الطرح ليس السؤال في حد ذاته وانما سؤال من أجل الإلتماس وفي ذات السياق حدد سيرل شروط نجاح الإلتماس إذ يقول:«أنه من شروط نجاح الإلتماس على الشخص الذي نتوجه إليه بالكلام يكون قادرا على إنجاز العمل المطلوب.» (موشلر، دت، الصفحات 59–60) وإلا اصبح الأمر تعجيزاً.

وفي ذات التقسيم الخماسي قسم سيرل الفعل المتضمن في القول إلى خمسة أقسام وفق المعايير غير اللغوية الإثني عشر التي ساقها لتصنيف الأفعال الكلامي: (بلانشيه، 2007، صفحة 60)

–الإخباريات: وتشمل تحقيق الإخبار حول شيء ما ولا يتحقق إلا بشرطين: مطابقة القول مع الواقع واليقين بمحتوى القول.

–الطلبيات: وتسمى كذلك بالأوامر الهدف منها جعل المخاطب يقوم بنشاط ما على وجه الأمر ولا تتحقق الا إذا طابق العالم الكلمات، وسادت العلة اليقين الرغبة والإرادة مثل قولك: "أخرج"

–الوعديات: وهدفها دفع المتكلم بالالتزام بالقيام بنشاط ما على وجه الإلزام واشْتُرِط فيها المطابقة –كما في الضربين الأوليين — وصدق النية بالفعل.

–الافصاحات: وتسمى كذلك بالتعبيرات وتشمل التعبير عن الحالة النفسية مع نية الصدق ولا يشترط فيها المطابقة.

–التصريحات: ويكون الهدف منها أحداث واقعة حيث يكون التوافق بين الكلمات والعالم مباشرة دون مطابقة.

هذا كان باختصار أهم ما جاءت به اللسانيات التداولية إذ شكلت أعمال كل من أوستين وسيرل وتحليلاتهما محطات رئيسة في مسيرة بلورة نظرية العمال اللغوية، فقد كانت غاية سيرل من تحليله

اللغوي ليس غاية في حد ذاته وإما وسيلة للكشف عن المبادئ التي تخضع لها اللغة عامة. (هندهلاتج، 2012، صفحة 155)

ولا يخفى على أي باحث متمحص أن الدراسات اللغوية العربية القديمة موسوعية ضمت الكثير من النظريات والدراسات التي توصل لها الغرب في العصر الحديث إلا أن ما يعاب علينا غياب اضبط المصطلح فالظاهرة دائما تسبق المصطلح، وبما أن ورقتنا البحثية تنظر في هذا الجانب خصصنا الحصة الأسد لهذا الجانب المعرفي في التراث العربي وبالخصوص في حقل أصول الفقه.

3. الانشاء في الدراسات اللغوية العربية:

1.3 الأساليب الانشائية الطلبية والأفعال اللغوية التي تضمنتها:

على خلاف الخبر إتفق علماء البلاغة على تقسيم الإنشاء إلى ضربين اثنين لا ثالث لهما: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي، فالأول «ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب» (ديب، 2003، صفحة 282)والثاني «وهو مالا يستدعي مطلوباً» (ديب، 2003، صفحة 310)ولكل منهما أساليب يساق عليها الكلام يحددها منزلة المتكلم والغرض المرجو من الكلام وفيما يلي شرح لبعض هذه الصيغ: (ديب، 2003، صفحة 283)

1/–الأمر: وهو طلب حصول الفعل على وجه الإستعلاء بحيث يكون المخاطَب أعلى منزلة من المخاطِب، وله أربعة صيغ يرد عليها: الأمر الصريح، الفعل المضارع المقرون بلام الأمر ويُمثل له بقوله تعالى في سورة الطلاق الأية7: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍۖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، واسم فعل أمر كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾–المائدة الآية105–،والمصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى:﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾–النساء الآية36 بمعنى أحسنوا إليهما وأدوا حقوقهما.

قد يخرج أسلوب الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ ثانوية يحددها سياق الكلام و قرائن الأحوال منها: **الدعاء** كما في قوله تعالى:﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾–النمل الأية19–، **النصح والإرشاد** كقوله تعالى:﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾–البقرة282– فهذا خطاب معاملات ضم أهم النصائح التي ينبغي التقيد بها في هذه

المعاملة –التدين– حتى يحفظ مقدارها وميقاتها، **التهديد** كما في قوله تعالى:﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾–فصلت الآية 40، التعجيز كقوله تعالى:﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾–البقرة الآية23– هذه الآية هي خطاب الله تعالى للكافرين الذين زعموا أن اما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو من غير عند الله فتحداهم على الإتيان بسورة مثله على وجه التعجيز لاستحالة الأمر، **الإباحة** كقوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾– البقرة، الآية187–،**التسوية** كما في قوله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ ۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾– الطورالآية16–، **الإكرام** كما في قوله تعالى:﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾– الحجر الآية– 46، **الإمتنان** كقوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾– النحل الآية114–، **الإهانة** كقوله تعالى:﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾– **الإسراء** الآية50–،**الدّوام** كقوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾– الفاتحة الآية6–كذلك قد يدل على التمني والتخيير والاباحة.

2/1–**النهي**: ويُطلب به الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والالزام بحيث يكون الناهي أي المخاطِب أعلى منزلة من المخاطب، وله صيغة واحدة يرد عليها وهي الفعل المضارع المقرون ب "لا "الناهية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾–الحجرات الآية12–.وقد أفادت هذه الصيغة عند علماء الأصول التحريم على الفور.

الأفعال الكلامية المترتبة عن صيغة النهي:

قد تخرج صيغة النهي عن صيغته الأصلية للدلالة على معانٍ أخرى منها: **كالدعاء** ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾–البقرة282– فقد حُمِلت هذه الآية معنى الأمر في كتاب علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) لمحمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب إلا أني أوردتها دلالة الأمر حسب تفسير ابن عاشور لها. **الإلتماس** كما في قوله تعالى في سورة طه:﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾–طه94–، **الإرشاد** كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾– المائدة101، **التهديد** نحو قوله تعالى في سورة التوبة:﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ

مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾-التوبة56-66-، كذلك دلالة **بيان العاقبة** كما في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾-آل عمران169-التيئيس، التحقير والإهانة إضافة إلى معانٍ أخرى كالتوبيخ، التمني، التهديد وغيرها من الدلالات التي يتضمنها أسلوب النهي.

والجدير بالذكر أن الأمر والنهي من أهم المباحث التي يقوم عليها علم أصول الفقه اعتمدوا عليهما لاستنباط الأحكام الشرعية والتمييز بين الحلال والحرام وما يجب القيام به وما لا يجب وهو ما يتجلى بوضوح في مصنفاتهم.

3/1-الاستفهام: ويُطلب به العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وهذه هي الدلالة الأصلية المقصودة عند الكلام في الأغلب.

الأفعال الكلامية المترتبة عن صيغة الاستفهام:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى يحددها سياق الكلام والقرائن نذكر على سبيل المثال المعاني التالية: الأمر نحو قوله: ﴿تعالى فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾-المائدة91-أي انتهوا. الإنكار وهو ما يعرف بالاستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾-الصافات 149-، الإثبات و التقرير ومثال ذلك قوله تعالى ألست بربكم في الآية :﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾-الأعراف الآية 172-، التشويق نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾-الصف الآية10-فهذه الآية شوقت المخاطبين إلى سماع الخبر اليقين التي جاء واضحا في الآية التي بعدها﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لذلك لم يكن الإستخبار مقصوداً فيها لأن الخبر ملقى من السائل في الآية التي تلتها. **الاستئناس** نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾-طه الآية17-، **التهويل والتخويف** كقوله تعالى في سورة القارعة ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢﴾، **الإستعباد** كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾-الدخان الآية 13-، **التعظيم** كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾-البقرةالآية 255-، **التحقير** كقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾-

الأنبياءالآية52–، **التفخيم** في قوله تعالى﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾–البقرةالآية 28 –، **الوعيد** في قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾– الفجرالآية6–، **التوبيخ** كقوله تعالى ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾–طه الآية93–، التسوية...

كما تلعب مخارج الأصوات دورا مهما في تحديد المعنى، فالتنغيم مثلاً يعمل على تصنيف الجمل إلى عدة أنواع منها: الاثبات، النفي، الاستخبار، التعجب...

4/1–التمني: يُطلب به أمر محبوب في النفس لكن لا يرجى حصوله لسببين، إما لكونه مستحيل أو لكونه بعيد لا يطمع في نيله ومثال ذلك قوله تعالى في سورة القصص ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾–القصص الآية79–

5/1–النداء: عُرِف في المدونات البلاغية بأنه «طلب الاقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء» (ديب، 2003، صفحة 306)ويمكن أن يتحقق القصد بالنداء دون هذه الأحرف وذلك بالتنغيم أومن خلال السياق كقوله: ربّ اغفر لي.

وقد تتولد عن النداء أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام كالإغراء كقول القائل للمظلوم: يا مظلوم تكلّم، الاستغاثة كقولنا: "يا كريم، يا الله"، الندبة، التعجب، الزّجر، التحسر والتوجع... (ديب، 2003، الصفحات 306–307–308)

كان هذا باختصار لأهم صيغ الأساليب الإنشائية الطلبية ومعانيها البلاغية التي أفادتها وهو ما سماه علماء اللغة "بالمعاني المجازية"، وهي في الوقت نفسه ذات وظيفة تواصلية يحددها غرض وقصد المتكلم من الكلام إذن يمكننا القول عنها انها أيضاً أفعال لغوية حسب ما أقره الدرس التداولي الحديث.

2.3–الأساليب الإنشائية غير الطلبية والأفعال اللغوية التي تتضمنها:

على خلاف الانشاء الطلبي الانشاء غير طلبي «لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب» (ديب، 2003، صفحة 310) ويتضمن هذا الأخير كل من الأساليب التالية:

1/2–المدح والذم: ولهما ثلاث صيغ شهيرة يُعرفان بهما هما" بئس ونعم" وحبذا ولا حبذا" من ذلك قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ –الآية48–49–. وقوله أيضا في صيغة الذم ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾- سورة الجمعة الآية26-

2/2-التعجب: وهو انفعال مرتبط بالنفس والهوى وقد عرفه الشريف الجرجاني (810هـ) على أنه: «انفعال يحدث في النفس عمّا خفي سببه. » (الجرجاني، 1985، صفحة 65)وله صيغتين يرد بهما هما " ما أفعل" و "أفعل به" فضلا عن الصيغ السماعية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ سورة الكهف الآية26-

3/2-القسم: كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ -سورة الذاريات الآية23- حملت هذه الآية معنى الفخر، والتعظيم كقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة الحجر الآية72- فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بحياة رسوله تعظيما لقدره، وتبيانا لمكانته عنده.

4/2-الرجاء: وهو طلب أمر قريب الوقوع أشهر صيغه"عسى" بالاظافة الى فعلي حرى واخلولق ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ -سورة المائدة الآية52-.

5/2- العقود: عرض مسعود صحراوي بالدراسة والشرح لألفاظ العقود والمعاهدات بقوله: وتمثّل هذه الظاهرة أهمّ مظهر ل «الأفعال المتضمنة في القول" وأقوى نقطة يُركز عليها في إثبات بحث العلماء العرب لظاهرة الأفعال الكلامية، وقد ألح أوستين في محاضراته الأولى من كتابه Quand dire c'est faire على أن القول النموذجي الذي يحصل به فعل كلامي هو هذا (أي ما سُمي ب "ألفاظ العقود" في تراثنا، وأن ما عداه من الأفعال المتضمنة في القول قد جاءت لاحقا بتوسيع النظرية وتعميقها على يد سيرل» (صحراوي، 2005، الصفحات 122-123) وما ينبغي الإشارة اليه ان تراثنا البلاغي لم يوف حقه بالدراسة لهذا الصنف وحجتهم في ذلك «انها في الأصل اخبار نقلت الى معنى الانشاء ،أنها لا تستعمل

الا في معانيها التي وضعت لها.» (البسيوني، دت، صفحة 354) وهي نفس الأسباب التي ذكرها مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب.

وقد لاقت صيغ العقود والمعاهدات الحظ الكبير في الدراسة في حقل أصول الفقه «والمصدر الأساسي لبحث هذا القسم الإنشائي الهام هو كتب الفقه وأصوله، وذلك لكثرة بحوث الفقهاء في المعاملات بين الناس من زواج وبيع...إ خ وهذه المعاملات لا تتم إلا بالفعل الكلامي المناسب مثل بعتك وزوجتك» (صحراوي، 2005، صفحة 124)

6/2التكثير: عرض عبد السلام هارون إلى هذا أثناء تفريقه بين الخبر والإشاء معتبراً إياه أنه موجود «في نفس المتكلم وليس له وجود في الخارج حتى يحتمل الصدق والكذب على خلاف الخبر الذي يدل على الملكية وله وجود في الواقع الخارجي ويرد وفق صيغتي "رُبّ "و "كم الخبرية"» (هارون، 2001، صفحة 27)وذلك نحو وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍۢ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾–سورة البقرة الآية 249–.

4. خاتمة:

خلال ما سبق عرضه يتضح لنا أن الدرس اللغوي العربي القديم كان ذا منحى تداولي بامتياز لاسيما في حقل أصول الفقه والبلاغة أين يتجلى بوضوح في شرط المقامية والسياق والإهتمام بالمخاطَب ومقصدية المتكلم كل هذا من صميم البحث التداولي الحديث.

كذلك التأصيل لنظرية أفعال الكلام عند العرب تجلت بوضوح في نظرية الخبر والإنشاء عند البلاغيين والتي بدورها استلهمها الأصوليين واشتغلوا عليها في حقل أصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية وتبيان حدود النص الشرعي، وفضلا عن ذلك يتضح أن أساليب الإنشاء الطلبي تحمل كثيرا من الأفعال اللغوية مقارنة بالأساليب غير طلبية لربما راجع ذلك إلى الطريقة التي يتوجه بها المتكلم بالخطاب الى المخاطَب.

5.قائمة المراجع:

البسيوني ،الفتاح فيود ،(2015)، .علم المعاني دراسة بلاغيةونقدية لمسائل المعاني،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة.

الجرجاني،الشريف، (1985) ،التعريفات ، مكتبةلبنان،بيروت.
بلانشيه،فيليب،(2007).التداولية من أوستين إلى غوفلمان،دار الحوار سوريا.
بوقرة، نعمان عبد الحميد،(دت)، الخطاب النظرية والإجراء،: دار الجامعة الملك سعود للنشر،السعودية.
ديب، محمد أحمدقاسم،(2003) ،علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الجديثة للكتاب،لبنان.
ريبول, جون آن روبو ل،(2010) ،القاموس الموسوعي للتداولية، منشورات دار سيناترا،تونس.
صحراوي،مسعود، (2005)،التداولية عندالعلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي.،دار الطلبيعة بيروت.
صحراوي، مسعود، (دت)، الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية. مجلة اللغة العربية، 180.
موشلر جاك، آن روبول،(2010)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت.
نحلة، محمودأحمد،(دت)،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر.
هارون، السلام محمد.،(2001)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي،القاهرة.
هندهلاتج،جونس،(2012)، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، مكتبة زهراء الشرق،مصر.